مكانة الفلسفة والمنطق
عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

د. عادل أمين حافظ فرج(*)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين مُحَمَّدٍ بنِ عبد الله المبعوثِ رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين..ثم أما بعد:

فمنذ أن نشطت حركة الترجمة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري - العصر العباسي الأول على الأرجح(١)- التي تم على إثرها نقل فلسفة اليونان من اللسان اليوناني إلى العربي عبر السريان، وانتشار الدراسات حولها داخل البيئة الإسلامية، تباينت المواقف واختلفت الرؤى تجاهها بين معارض ومؤيد، وثالث يرى التوسُّط في الأمر.

فالمعارضون لها، رأوا فيها مخالفة لأسس العقيدة الإسلامية، من القول بقدم العالم، و إنكار علم الله للجزئيات دون الكليات، وكذلك القول ببعث الأرواح دون الأجساد(٢). مما شجع على معادتها ومحاربة تعلُّمها وتعليمها في آنٍ واحد. وقد كان جلُّ المعارضين لها من قبل التيار السلفي من المحدثين والفقهاء.

(*) أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد بكلية دار العلوم - جامعة الفيوم.

(١) انظر: تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي،: ص١٦، ت/ محمد كرد على، م/ الترقي بدمشق، ط١/ ١٩٤٦م. مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: ج١/ ص٢٩٣، ت/ كامل كامل بكرى وآخر، دار الكتب الحديثة، القاهرة. المذاهب اليونانية الفلسفية لسانتلانا: ص١٥٤- ت د/ محمد جلال شرف، ط/ دار النهضة العربية، بيروت، ط١/ ١٩٨١م. علوم اليونان لأوليري: ص٢١٢ وما بعدها، ترجمة: د/ وهيب كامل، ن. م/ النهضة المصرية، ط١/ ١٩٦٢م.تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور: ص٣٥.

(٢) ينظر في ذلك: الإمام الغزالي، تهافت الفلاسفة، ص٣٠٩: ٣٠٧، تحقيق. د/ سليمان دنيا، ط/ دار المعارف بمصر، ط٤/ ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

وأما المؤيدون لها فقد رأوا فيها تشجيعا على النظر و إعلاءً لمكانة العقل. و يؤخذ على هذا الفريق غلوُّه في المدح والتأييد لها مع غض الطرف عن المسائل التي خرجت بها الفلسفة عن أسس العقيدة.

وأخيرا وجد تيارٌ ثالث توسَّط بين الأمرين: المعارض والمؤيد، مؤكدا - بداية - على نبذ كل ما خرجت به الفلسفة عن أسس العقيدة الإسلامية، ومؤكدا في الوقت ذاته على أن هذه الخروقات الفلسفية ليست سوى أخطاء فردية صدرت عن بعض الفلاسفة، الأمر الذي يجعل اتهام الفلسفة برمتها بتلك الاتهامات مجانبا للصواب والعدالة في الحكم، وأنه التهافت الذي وسمت به لا ينسحب عليها، بل ينبغي وسم أصحابه به.

أهمية البحث:

و إزاء هذا التباين في الرؤي تأتي أهمية البحث في الكشف عن موقف علم من أعلام تونس في العصر الحديث، من الفلسفة والمنطق، ألا وهو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور(ت/ ١٩٧٣م).

ولسائل أن يسأل: أين موقع الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من هذه الاتجاهات المتباينة؟ وتأتي أهمية هذا البحث في الإجابة عن هذا التساؤل.

يضاف إلى تلك الأهمية، أنه على الرغم من أهمية الجانب الفكري والفلسفي في تراث الشيخ ابن عاشور؛ فإنه لم يلقَ عنايةَ الباحثين بالدراسة، مما يبرز أهمية هذا البحث في إظهار مكانة الفلسفة والمنطق لديه.

وأخيرا تبرز أهمية البحث، لاسيما عند تناول شخصية نشأت نشأة محافظة، واتسمت بالمحافظة على الموروث الديني في بيئتها، وعلى الرغم من ذلك كانت ترى أن الفلسفة الحقَّة لا تصادم العقيدة الإسلامية، وليس هذا فحسب بل رأت - كذلك - أن البرهان المنطقي يعد سلاحا مهما ونافعا للدفاع عن العقيدة الإسلامية.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج: الوصفي التحليلي، وذلك بإيراد أقواله الكاشفة عن رؤيته للعلوم العقلية ومكانتها لديه. مع تحليل أقواله؛ لبيان مدى أصالته في ذلك من جانب، ومن جانب آخر بيان مدى تأثره بآراء السابقين عليه من العلماء المسلمين وغيرهم.

خطة البحث:

يحتوي البحث على تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة بذكر نتائج البحث، ثم ثبت بمصادره ومراجعه، وأخيرا فهرست بموضوعاته، وذلك على النحو التالي:

تمهيد: التعريف بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور وبيان العلاقة بين الحكمة والفلسفة لديه.

المبحث الأول: بدايات ظهور الحكمة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعلُّم الحكمة(الحكمة مكتسبة).

المطلب الثاني: بدايات ظهور الحكمة.

المطلب الثالث: تصنيف علوم الفلسفة.

المبحث الثاني: مكانة الفلسفة عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

المبحث الثالث: التوفيق بين الشريعة والفلسفة: دوافعه ومظاهره عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحكمة في نظر الدين.

المطلب الثاني: دوافع التوفيق بين الشريعة والفلسفة عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

المطلب الثالث: مظاهر التوفيق بين الشريعة والفلسفة عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

المبحث الرابع: مكانة المنطق عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

الخاتمة: نتائج البحث.

والله تعالى أسأله - سبحانه - أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

التمهيد: التعريف بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور وبيان العلاقة بين الحكمة والفلسفة لديه

التعريف بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور:

الشيخ محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور، ولد في تونس سنة (١٢٩٦هـ)، الموافق (١٨٧٩) من أسرة علمية عريقة تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس. وقد استقرت هذه الأسرة في تونس بعد حملات التنصير ومحاكم التفتيش التي تعرض لها مسلمو الأندلس، نشأ محبا للعلم وأهله، متصفا بالذكاء الذي حباه به ربه، فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين طلبة العلم، حتى راح يطوف متبحرا في العلوم الشرعية كالتفسير[١] والفقه وأصوله، حتى صار إماما فيها شهد له بذلك زملاؤه وتلامذته، فضلا عن غزارة إنتاجه العلمي؛ إذ كانت مؤلفاته[٢] ترجمة حقيقية لتفوقه في تلك العلوم.. كذلك فقد كان عالما لغويا، وعضواً مراسَلاً في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة. وكان متقنا للُّغة الفرنسية، تولى مناصب علمية و إدارية بارزة كالتدريس، والقضاء، والإفتاء، وتم تعيينه شيخاً لجامع الزيتونة.[٣]

حمل راية الإصلاح في تونس ما يزيد على نصف القرن من الزمان، حيث كرس معظم عمره الذي جاوز التسعين في خدمة العلم والإصلاح، «حتى لقبه الإمام محمد عبده بسفير الدعوة

---

(١) «تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، في تفسير الكتاب المجيد» سمي اختصاراً بـ «التحرير والتنوير». انظر: بلقاسم الغالي، من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، ص٧٦، ط/ دار ابن حزم، بيروت، ط١/ ١٩٩٦م.

(٢) ألف عشرات الكتب في التفسير، والحديث، والأصول، واللغة، وغيرها من العلوم، منها تفسيره المسمَّى: «التحرير والتنوير»، و«مقاصد الشريعة»، و«كشف المُغَطَّا من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطَّا»، و«أصول الإنشاء والخطابة»، و«النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح»، وغيرها من الكتب النافعة.

(٣) جامع الزيتونة: هو ثاني جامع بني في أفريقية(وهذا هو الاسم القديم لتونس)بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان(القيروان مدينة تونسية كانت مقرا للقوافل، والقافلة في الفارسية كاروان وتحول اسمها إلى قيروان) هذا الجامع مثل سائر جوامع العالم الإسلامي كان جامعة علمية تخرج فيها أجيال من العلماء في مختلف فنون المعرفة. من أشهر خريجي هذا الجامع في القديم العلامة ابن خلدون، وفي العصر الحديث الشيخ محمد الخضر حسين والشيخ محمد الطاهر بن عاشور وابنه محمد الفاضل. انظر: محمد علي آذرشب، الزيتونيون والشعر التونسي الحديث(ثقافتنا للدراسات والبحوث/ م٥/ العدد ١٧)، ص١٩٣، مؤسسة الفكر الإسلامي، طهران٢٠٠٨م.

الإصلاحيـة في الجامعة الزيتونية»[١]. ومـن ثم جاءت آراؤه وكتاباته ثورة على التقليد والجمود وثورة على التسيب والضياع الفكري والحضاري الذي أصاب الأمتين العربية والإسلامية.

وقد توفي الشـيخ - رحمه الله تعالى- في ١٣رجب/ سـنة ١٣٩٣هـ الموافق١٢أغسطس/ سنة ١٩٧٣م، بعد حياة حافلة بالعلم والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي.

أما عن مذهبه العقدي: فهو في مسـائل الاعتقاد وعلم الكلام، على مذهب الأشـاعرة من حيث الأصل.[٢] ومع ذلك نراه يخالف الأشـاعرة أحيانا في تقرير بعض المسـائل، فيأخذ فيها بمذهب السلف[٣] أو مذهب المعتزلة[٤].

أما عن الجانب الفكري والفلسـفي لدى الشـيخ، فإن القارئ لتراثه يـدرك عنايته الفائقة بالعلوم العقلية والبراهين المنطقية، فضلا عن تأثره بالمذاهب الفلسفية والكلامية، وإن كانت شـهرته كفقيه ومفسر مالكي مارس التفسـير والفقه أظهرته كمجدد لعلوم الدين وغطت على حقيقة خلفيته الفلسـفية التي اسـتمدها من السـيناوية أي من كتاب «النجاة» و«الإشارات» لابـن سـينا تماما كـما حصل لسـلفه في المنهج، من أمثـال الجويـني والغزالي والـرازي، الذين استوعبهم ابن سينا بسبب استعدادهم الكلامي المتطرف إلى ناحية المعتزلة.

ولعل دراسـة سريعة لتفسـير الشـيخ الطاهر بن عاشور المسـمى بـ«التنوير والتحرير» وطريقته في التفسـير المحدثة والمعتمدة على أسـاليب الفلاسـفة في دراسة النص الشرعي تدلنا

---

(١) إسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ص٢١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١/ ١٤١٦ه- ١٩٩٥م.بلقاسم الغالي، من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، ص٥٠-٥١.

(٢) يظهر ذلك جليا في موقفه من نصوص الصفات، فهو إما أن يؤولها، وإما أن يفوضها، وهذان طريقان معروفان للأشاعرة، وكلاهما مخالف لمذهب السلف في باب الصفات: يُنْظر في ذلك تفسيره للإتيان: التحرير والتنوير، ج٢ / ٢٨٤، والاستواء: ج١٦/ ١٨٧، واليدين: ج٢٣/ ٣٠٢.وانظر كذلك: التحرير والتنوير، ج١/ ٤٤٣، ج١٦/ ١٨٧، ج٢٢/ ١٩٣، ج٣٠/ ١٤٧.وينظر أيضا كتابه: أليس الصبح بقريب، ص١٨٤.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣/ ص١٥٦.

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨/ ص١٦٤، ج١٦/ ١٨٧. انظر وقارن: منهج الطاهر بن عاشور في أصول الاعتقاد دراسة وتقويما، لمحمد بن حسين بن سعيد العمري، ج١/ ٥٦، رسالة ماجستير مخطوط بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، نقلا عن رسالة ماجستير بعنوان: الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، لمحمد بن سعد بن عبد الله القرني، ص٢٧، رسالة ماجستير مخطوط بمكتبة جامعة أم القرى بمكة الكرمة، ١٤٣٧هـ.

على ذلك. فالاسم الأصلي لهذا التفسير: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ثم سمي اختصارا بـ(التحرير والتنوير) وهذه الكلمة «التنوير» تظهر تأثر الشيخ - إلى حد ما - بآراء الفلاسفة والمتكلمين، ولعل الدارس لهذا التفسير يلمس ذلك، لاسيما تأثره بالصبغة الفلسفية السيناوية. فضلا عن استشهاده في بقية كتبه بكلام الفلاسفة اليونانيين والإسلاميين على حد سواء، فدراسته الشرعية وارتقاؤه لمشيخة جامع الزيتونة لم يمنعاه من إبداء الرأي في الفلسفة وعلومها، يظهر ذلك جليا في تأييده للفلسفة وعلومها لاسيما المنطق، متفقا مع أصحابه في أن قوانينه عاصمة للذهن عن الوقوع في الخطأ في الفكر.

بل ذهب الشيخ في تأييده للعلوم العقلية مبلغا يكاد يتفق فيه مع أصحابها؛ إذ جعلها إحدى الركائز المهمة في نهضة الأمم وتقدمها وهو ما ستكشف عنه صفحات البحث.

العلاقة بين الحكمة والفلسفة لدى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

لبيان العلاقة بين الحكمة والفلسفة لدى الشيخ تجدر الإشارة - أولا - إلى تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح.

أولا: تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح:

١- تعريف الحكمة في اللغة[(١)]:

الحِكمة بكسر الحاء مشتقة من الحُكْم وهو المنع لأنّها تمنع صاحبها من الوقوع في الغلط والضلال، فيقال: أحكم فلان فلاناً منعه. ومنه حَكَمَة اللجام ما أحاط بحنكي الدابة، وهي الحديدة التي توضع في فمها لتمنعها من اختلال السير. ويقال: أحكمت الشيء فاستحكم: صار مُحكما، ومنه قوله تعالى:) كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ((هود: ١).

والحكيم فعيل من أحكم إذا أتقن الصنع بأن حاطه من الخلل. فالحكيم إما بمعنى المتقن للأمور كلها أو بمعنى ذي الحكمة. وأيّاً ما كان فقد جرى بوزن فعيل على غير فعل ثلاثي وذلك مسموع.

٢- تعريف الحكمة في الاصطلاح:

التزم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور نهج الفلاسفة قديما وحديثا في اعتبار الحكمة

(١) انظر بتصرف: ابن منظور، لسان العرب، (مادة حكم) ج٣/ ٢٧٢: ٢٧٠، تصحيح/ أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣/ ١٩٩٩م.

والفلسفة كلمتين مترادفتين، لاسيما ولفظ الفلسفة «مشتق من اليونانية وأصله (فيلا - صوفيا)، ومعناه محبة الحكمة»[١]. «وكان الذين عندهم هذا العلم من اليونانيين يسمونه الحكمة على الإطلاق، والحكمة العظمى، ويسمون اقتناءها العلم وملكته الفلسفة، ويعنون به إيثار الحكمة العظمى ومحبتها، ويسمون المقتني لها فيلسوفا»[٢].

يوضح ذلك ويؤكده التعريفات الواردة لديه في الحكمة؛ إذ تدور كلها على إبراز سماتها، وتجلية وظيفتها، فمن ذلك:

أ- كونها تهدف إلى التشبه بالخالق على قدر الطاقة البشرية، ويظهر ذلك جليًّا في تعريفات الفلاسفة، يقول ابن سينا في ذلك: «الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة البشرية».[٣] وإلى هذا المعنى يذهب الطاهر بن عاشور، وذلك في تعريف الحكمة؛ قائلا: «إن الحكمة كلها هي التشبه بالخالق بقدر الطاقة البشرية»[٤].

ب- كونها - كما يقول ابن عاشور - تطلق «على المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وفي تهذيبهم»[٥]، وبعبارة أخرى يقول: «والحكمة إتقان العلم وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم».[٦] وفي ذلك إشارة إلى وظيفتها النظرية، في كونها ترفع الجهل في تعليم الناس، وإلى وظيفتها العملية؛ كونها تضطلع بتهذيبهم.

ج- كونها - لديه - تهدف لا إلى إصلاح الناس فقط، بل إلى بقائهم واستمرارهم على ذلك الصلاح في الحال والمعتقد، فنراه يقول في تعريف الحكمة: «هي اسم جامع لكل كلام

(١) د/ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج٢/ ص١٦٠، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١/ ١٩٨٢م.

(٢) الفارابي، تحصيل السعادة، ص٨٦، قدم له د/ على بو ملحم، الناشر/ دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١/ ١٩٩٥م. انظر: ابن سينا، في أقسام العلوم العقلية(تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات)، ص١٠٥، دار العرب للبستاني، القاهرة، ط٢/ بدون تاريخ.

(٣) ابن سينا، عيون الحكمة، ص١٦، تحقيق.د/ عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٢/ ١٩٨٠م.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١/ ص٦٧١، ج٣/ ص٦١، ج١٧/ ٢٨٥، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١/ ١٩٨٤م.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤/ ص٣٢٧ - ج٢٧/ ص١٧٥.

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣/ ص٦١.

أو علـم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحاً مستمراً لا يتغيّر».[١] وقد كان هذا هدفا من الأهداف التي يسعى الفلاسفة - لاسيما الإسلاميين منهم - من وراء تعلُّمها وتعليمها، فها هو ابن رشد يقول في بيان التقارب والاتصال بين الشريعة والحكمة: «الحكمة هي صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة».[٢] وعبارة (والأخت الرضيعة) تعني لديه وغيره من الفلاسفة، كون علوم الحكمة النظرية والعملية على حد سواء مستفادة من جهة الشريعة والملة الإلهية، وهو ما أكده ابن سينا في حديثه عن أقسام ومبادئ الحكمة النظرية والعملية.[٣]

د- كونها - لدي ابن عاشور - معنية بمعرفة حقائق الأشياء على قدر الطاقة الإنسانية؛ إذ يقول: «فسرت الحكمة بأنّها معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بما تبلغه الطاقة، أي بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض ولا يغلط في العلل والأسباب».[٤] يتفق في ذلك مع فيلسوف العرب الأول الكندي في تعريف الفلسفة؛ إذ يقول الكندي: «صناعة الفلسفة التي حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان».[٥]

وهناك ألفاظ مرادفة للحكمة، استعملها ابن عاشور تبين جوهرها، وتكشف عن مكانتها لديه، وهذه الألفاظ، هي:

١- **الحق:** يؤكد ذلك بقوله: «ويطلق الحق على الفعل أو القول السديد الصالح البالغ حدّ الإتقان والصواب، ويرادف الحكمة والحقيقة».[٦] ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦]، ﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان: ٣٩]. وذلك للدلالة على أن خالقهما فاعل مختار حكيم.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣/ ص٦١- ج١/ ص٧٢٣.

(٢) ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، ص٥٨، قدم له وعلق عليه. د/ ألبير نصري نادر، الناشر/ مكتبة دار المشرق، بيروت، ط٢/ ١٩٦٨م.

(٣) انظر: ابن سينا، عيون الحكمة، ص١٦.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣/ ص٦١- ج١٥/ ص١٠٦- ج٢٨/ ص٣٤٨.

(٥) الكندي، كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى (رسائل الكندي الفلسفية)القسم الأول، ص٢٥، تحقيق. د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، الناشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢/ ١٩٧٨م.

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧/ ص٣٠٦ - ج١١/ ص٩٦. ج١٣/ ص٢١٤.

٢- **الحُكم**: يؤكد ذلك قولُه: «والحُكم هو الحكمة، أي العلم بطرق الخير ودفع الشرّ».[١] ونراه يربط هنا بين الحكمة النظرية والحكمة العملية، إذ يجعل الحكم مرادفا للحكمة.

٣- **القوة الفطرية**: فنراه يؤكد على أن فريقا من الناس يقع أسيرا لقوى الشهوة والغضب المسمين بالهوى، وهو ما يؤدي إلى التغلب على ما أودعه الله تعالى فيهم من استقامة الفطرة، المسماة الحكمة، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].[٢]

٤- **البرهان**: يذهب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إلى أن صناعة البرهان هي جزء من الحكمة، معللا ذلك بأن صناعة البرهان تستند إلى حقائق ثابتة، تتألف منها مقدمات البرهان، ومن ثم لا ينتج إلا نتائج يقينية بخلاف صناعة الجدل التي تتألف من مقدمات ظنية، وصناعة السفسطة تتألف من مقدمات كاذبة. وهو بذلك يقارب بين صناعة البرهان والحكمة. يؤكد ذلك قوله: «**فإلى الحكمة ترجع صناعة البرهان لأنه يتألف من المقدمات اليقينية وهي حقائق ثابتة تقتضي حصول معرفة الأشياء على ما هي عليه**».[٣]

ثانيا: بيان العلاقة بين الحكمة والفلسفة لدى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

بناء على ما سبق يتضح لنا أن الشيخ الطاهر بن عاشور قد استعمل الحكمة مرادفة للفلسفة، ملتزما في ذلك نهج الفلاسفة المسلمين: من أمثال الشيخ الرئيس ابن سينا[٤] في كتابيه: النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، وعيون الحكمة. وكذلك الفيلسوف ابن رشد وهو ما يتضح من عنوان كتابه: (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال).

وبذلك يكون حديثُه عن الحكمة وعلومها، حديثًا عن الفلسفة وعلومها، صحيح أن

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧/ ص٣٥٢.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩/ ص١٨٣.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤/ ص٣٣٢.

(٤) انظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني، الفلسفة الإسلامية، ص٤٩، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١/ ١٩٨٥م.

ذلك لم يمنعه من التصريح بمصطلح الفلسفة وتأييدها، وبيان أهمية تعليمها وتعلُّمها، إيمانا منه بدورها في اصلاح المجتمع.

لكن تبقى الإشارة إلى ضرورة التمييز بين ما ورد فيها من حقٍّ لا يصادم صحيح المنقول، فهذا لا يمنع من الأخذ به. وبين ما فيها من باطل لا يتفق مع صريح المعقول، فضلا عن كونه يصادم صحيح المنقول، وهذا يُمنع الأخذ به، بل ويجب التحذير منه. مع ضرورة الأخذ في الاعتبار أن ذلك الباطل لا يعود إلى الفلسفة بالذات، بل يعود إلى أصحابه من الفلاسفة، ومن ثم نقول بتهافت بعض الفلاسفة، وليس تهافت الفلسفة.